# التجارة كما السياسة!

لا نغالي في شيء، إذا قلنا ان أدنى المهن (المُهينة؟!) أشرف من تجارة المتاجرين بضميرهم البعيد عن مواطن الرأفة والإنسانية، وان السارق والتاجر الفاجر الغليظ الكبد، صنوان لا تفرّق بينهما عين العدالة الإلهية، يوم الثواب والعقاب.

حقّاً ان المتلاعبين اليوم وفي الأمس بأسعار السوق، والمتمسّكين بحاجات النّاس طمعاً بالربح الوافر، يُعتبرون في عداد المجرمين، لأنهم يمنعون أسباب العيش، عن كثير ممن لا تمكنهم رقة حالهم وتدهور قيمة العملة الوطنية، من الحصول على القوت، إلّا بشقّ النفس وارهاق الجسد ولا سيما في غمر جائحة لا ترحم حتى المتاجرين بكل شيء.

وكم نحب أن يعلم أولئك الطامعون، انهم بسيطرتهم على الأسواق، وبهيمنتهم على منتوجات البلاد وسواها، يحولون بين نعمة الله وخيرات ملكه، وألوف وألوف من عباده المحتاجين والبُؤس. فقد سخّر لنا الله الشجر والماء والهواء فمن الظلم أن تنازعنا عليها أو حتى تهملها فئة من النفعيين المتفننين بأساليب الغش والاحتكار.

وعندي، أن هذه الفئة - كفئة الفجّار الآخرين - لا تمتّ إلى البشرية بسبب، لأنها منبعثة من صميم القسوة، ولأن القساة أعداء الرفق والحنان، المنبثقين من روح الله، مصدر الخير والبر والاحسان.

وهذه شريعة السماء، وشرائع الأرض كلها، تحرّم الغلاء، وتمنع التلاعب بمقدرات التجارة والصناعة وسائر الأمور، وتمقت الاحتكار وتلعن المحتكرين. ولكن حب المادة والجاه الأجوف، يصمُّ الآذان، ويغشي العيون، ويفسد القلوب، ويخنق الضمائر، ويمسخ الإنسان وحشاً يفترس وهو شبعان، في حين لا يقدم الذئب الشره الشرس على فريسته، إلا عندما تعضه أنياب الجوع.

وعلى الرغم من الأزمات السياسية المتفاعلة وفوضى السوق، ما برحت فوضى الغلاء متفشية أكثر من الوباء الزاحف!

الاحتكار، دليل أمراض الآنا المتفشية في أعلى المستويات أولاً، ورمز الجشع الأثيم. وأمراض الآنا المتجذرة عندنا طعنة نجلاء ما زالت تضرب المجموع. وما دام المجموع طعيناً، فلن نبلغ أي هدف منشود أو ينشده لنا الأجنبي - الصديق، ولن نتمكن من تشييد صرح دولتنا شبه الغائبة بغياب صرح الحب الإنساني الوطيد.

رجال لاحتكار حتى في المستوى السياسي جراثيم خطرة في دماء الأمم، وهذه الجراثيم، ما زالت تبتلع ثروانا وتمزّق آمال الأفراد والجماعات حتى عبر ارتهانات غريبة عجيبة.

وطننا لبنان،

أضحى وحيداً يُعاني من عنا ألمٍ
يرنو إلى مَن ينجّيهِ منَ الألمِ

**د. جهاد نعمان**

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه